

يتوق الحكمة من بقاء ومن يوثق
الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً وما
يذكر الا اولو الالباب

المساجد
١٣١٥

ففسر عبادي الذين يستمعون القول
فيؤمنون احسنه اوتئك الذين هداهم
الله واوتئك هم اولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوتي و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الثلاثاء غرة صفر سنة ١٣١٨ - ٢٩ مايو (ايار) سنة ١٩٠٠)

الترك والعرب

٢

بيننا في المقالة السابقة ان المزية التي امتازت بها دولة الترك العثمانية على كل دولة عربية هي بقاء دولتهم وثباتها زمناً يناهز زمن دول العرب كلها او يزيد واوضحنا الاسباب في ذلك ملين باسباب تنازع الدول العربية في السلطة وانهم على تنازعهم وتخاذلهم كانوا اوسع فتوحاً واكثر اشراً للاسلام ونصراً للدين من الترك. ووجدنا بان تقابل بين الفريقين ونفاضل بينهما في العلوم والمعارف والمدنية والعمران وها نحن اولاء منجزوا موعودنا فتدبر ما نكتبه تدبراً

من احاط خبراً بحال الشيعيين في هذه الايام ولم يكن عارفاً بتاريخهما الماضي ولا واقفاً على علل الاحوال الحاضرة واسبابها يحكم بان الترك اقرب الى المدنية من العرب لانهم ارقى منهم في الفنون والعلوم العصرية

وما ينشأ عنها من الصناعات وما يتبع ذلك من مظاهر الجمال والجلال
والبهاء والكمال فإذا مدَّ عينيه بمد هذا الى مناشئ الامور وعللها رأى ان
المال المخصص للمعارف في الدولة يتفق في الامتانة العلية وما يليها من
بلاد الترك الا نورا يسيراً يصرف الى ما يتصل بها كسوريا فهو كالرشاش
يصيب الارض المجاورة لمكان صرهوم او ذبي صيب لا يروى غليلاً
ولا ينقى قتيلاً . واذا رأى هذا وعرفه يرجع عن حكمه لا عمالة واذا هو
رجع القهقري في التاريخ الى ايام دول العرب وشاهد ما كان منهم من
العلم ايام لا علم الا علمهم والصناعة حيث لا صناعة تملو صناعتهم والزراعة
ازمان لا زراعة كزراعتهم والتجارة حيث لا احد يجاريهم في تجارتهم تجلي
له ان قابليتهم للكمال اقوى واستعدادهم للمدنية اعلى وعقولهم في العلم ارقى
وهمتهم في العمل اعلى فانهم اوجدوا مدينة لم تكن واحيوا علوماً كانت
مدفونة في مقابر مكاتب الرومان وغيرهم ونفخوا في العالم الانساني روحاً
جديداً كان مبدأ الانقلاب الاعظم في تاريخه وافاضوا على ارضه الميته
صيب الحكمة والجد والعمل فاهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج
وأما الترك فلم يظهر فيهم ايام عزهم وقوتهم شيء من ذلك مع ان لهم
سلفاً فيه وقد غمرتهم في هذه الايام المدنية الاوربية وجاءتهم من بين ايديهم
ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شياطينهم ولا تجد اكثرهم شاكرين - لا تكاد
تجد منهم مكتشفاً ولا مخترعاً ولا تكاد تجد فيهم صاحب مذهب في
الاصول العلمية ولا صاحب رأى في المذاهب الفلسفية ولا تكاد تجد
فيهم شركات صناعية او تجارية تضرب في الارض ابتغاء الثروة والكسب .
الا اني اعيد القول بانهم ارقى من العرب في هذه الايام لما ذكرت من

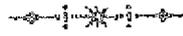
الاسباب لا لأن استعدادهم اقوى وأعيد القول بان الفرض من المقابلة والمفاضلة بينهم وبين العرب بيان الحقيقة وخدمة التاريخ وحث الشيعين على ان يكونوا شعباً واحداً يخدم الوحدة الاسلامية التي يجب ان تكون فوق كل جنسية بل ان تتلاشى فيها كل جنسية وان يسمى عملاء الفريقين في التأليف والتوحيد فان الترك يظهرون احتقار العرب حتى ان لفظ (عرب) من الفاظ الشتم في لفهمم والعرب يعتقدون ان الترك تحمروا نحو آثار المدينة العربية من بغداد وغيرها متعمدين وقد انتهى بهم سوء الظن الى الاعتقاد بان الجامع الأموي ما احرقه الا الاتراك لانه من الآثار العربية التي يفتخر بها . ولو اردنا ان نفيض في هذا الموضوع ونشرح بعض ما يتحدث به الناس من ذلك في سوريا وغيرها لقضى المصريون منه عجباً . ومن ذلك ان قاضياً تركياً جاء الشام فبكت فيها عدة سنين معظماً مجبلاً محترماً مكرماً . وعند ما نقل منها قال لأخص اصدقائه عند الوداع ادعوا الله ان ينزع بغض العرب من قلبي فاني ما رأيت منكم الا كل لطف وكمال . ومما هو مستفيض عن جهالاتهم انهم ينكرون ان النبي صلى الله عليه وسلم عربي ويؤمن بعضهم انه قال « انا عربي وليس العرب مني » ولم يعرف انه كان مثل هذا بين العرب وبين غير الترك من الاعاجم الذين استولوا على عروش السلطنة في البلاد الاسلامية . وهذه دولة الفرس الحاضرة لم ينقل عن اهلها انهم يبغضون العرب او يحقرونهم لانهم عرب وان من الاعاجم من يعتقد ان العرب افضل من جميع الاجناس لان النبي الاعظم منهم والقرآن بلسانهم وهم الذين نشروا الدين وأيدوه . ومن هؤلاء الافغان الذين يتعصبون لجنسهم اشد التعصب ويرون ان الافغان

هو افضل الناس لانه افغانى ولكنهم يستثنون العرب
يا قوم ان ربكم يقول لكم « ان هذه امتكم امة واحدة » ويقول
« واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم
اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمة اخواناً وكنتم على شفا حفرة من
النار فأنقذكم منها كذلك يبين لكم آياته لعلكم تهتدون » ويقول « ولا
تنازعوا فتفشلوا وتذهب ربكم واصبروا ان الله مع الصابرين » وجاء في
السنة الصحيحة « لا تنازعوا ولا تباغضوا ولا تقاطعوا ولا تباؤوا وكونوا
عباد الله اخواناً المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يحترمه » . يا قوم ان في تاريخ
من قبلكم اعظم عبرة لكم . ألم يقص عليكم ما اصاب الامة من تنازعهم على
الخلافة والملك ومن اختلافهم وتفرقهم في الدين ؟ اصابهم شر عظيم قذف بهم
من القنفة الى الهاوية وخزيت الامة كلها بخزي رؤسائها في الدين والدنيا . ولما
تجددت لها دولة قوية وهي (الدولة العلية) اعزها الله تعالى لم تسع في ابان
قوتها في رتق الفتق ولم تعمل لاستئصال جرائم الفتن السابقة واصطلامها
لانها كانت دولة قوة وبأس لادولة علم وحكمة وما كان بين المسلمين
وما هو كائن لا يمحوه الا العلم الاجتماعى الصحيح وهو ما كان ضعيفاً
أو معدوماً في دولهم العلمية فما بالك بغيرها ؟ ما محا الترك سطور التمصبات
الماضية ولكنهم زادوا في الطنبور نفمة وهي التعصب للجنس الذى محاه
الاسلام من أعرق الأمم وأشدها فيه وهي الامة العربية . ثم قام في هذه
السنين في مصر من زاد في الطين بلة فأحدث في الاسلام بدعة التعصب
للوطن والافتخار بلفظ الوطنية . فهذه المدى تقطع روابط الاسلام ويمزق
أهله كل ممزق والآخذون بها هم الذين يدققون على المسلمين ويحولون

بين عقلائهم وبين ما يشتهون من الوحدة الإسلامية . ومن العجيب ان هؤلاء الاغرار ينشون الناس في مصر بانهم من انصار الدولة العلية والمخلصين لها وليست الدولة من سلالة القراعنة ولا من أبناء وادي النيل الذي يتصبون له ويحملون الناس على مناوأة كل من ليس من أهله . ومنهم من يجاري الناس في هذه الايام بذكر « الاسلام » و « الجامعة الإسلامية » . وكيف تكون الجامعة الإسلامية اذا كان المسلم المصري يبادي المسلم الشامي والمغربي والحجازي وأولئك يبادونه أيضاً ؟ نسأل الله البصيرة والهداية لهؤلاء الاغرار لعلمهم يرشدون

ونحمد الله ان مولانا السلطان الاعظم عبدالحميد الثاني أيده الله تعالى هو الملك الثاني (والاول هو السلطان سليم ياوز) الذي عقل مضرة التعصب للجنس ولولا شدة عصبية الاتراك لقلب الاوضاع وغير ما عليه الدولة من نظام الاجتماع . وكلنا على علم بحزب (تركيا الفتاة) الذي تألف لمقاومة ذاته الكريمة لان سياسته غير مرضية عندهم . وقد شغل فساد هذا الحزب الضار أفكار جلالته فأخذ جزءا غير قليل من وقته الثمين ولولاهم لصرف في مصلحة الدولة والامة . ورأيت أيضاً غير واحد من عطاء الاتراك سياسته اسلامية لا تركية ولا وطنية ومنهم دولة الغازي مختار باشا الذي كنت أسمع من الناس انه كان في اليمن يسير مسيرة تركية وان العرب هناك لا قوا من تعصبه أضعاف ما يقتضيه التأديب وتستلزمه المصلحة . ولكنني لما اتصلت بدولته في مصر وذاكرته في شؤون الدولة العلية والاسلام كذب الخبر الخبر وعلمت ان سياسته اسلامية وان شئت قلت سليمية (نسبة للسلطان سليم عليه الرحمة) الا ان يكون هذا الرأي قد

حدث عنده بعد ذلك . وعلى كل حال نسأل الله تعالى ان يكثر من أمثال هؤلاء المتلاءمات في الدولة العلية عسى ان تتوحد الامة بسعيهم وتتكون الجامعة الاسلامية باهتدائهم وهديهم وما ذلك على الله بعزيز (سيأتي الكلام على مدينة العرب بخصوصها)



باب التربية والتعليم

(التعليم النافع)

لا ترقى أمة من الأمم دفعة واحدة وإذا أراد الله بقوم خيراً يعطى أفراداً منهم عقولاً كبيرة ويهيئ لهم اكتساب العلوم النافعة ويبصرهم بالمصالح وطرق الوصول إليها ويوقمهم للتصدي للارشاد ثم يلهم قومهم احترامهم والأخذ بهديهم وارشادهم فينتشر بذلك الإصلاح فيهم . وإذا أراد الله بقوم سوءاً يبعث إليهم كل من ينبغ فيهم وينبري لانتياشهم مما هم فيه من الشقاء والمعناء متوهمين انه مبطل فيما يدعو اليه لانه مخالف لما هم عليه من العادات والتقاليد ويقول ساداتهم وكبرائؤهم لو كان ما يدعو اليه خيراً ما سبقنا اليه (وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان «اي ما جاء به محمد» خيراً ما سبقونا اليه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم) . هكذا كان وهكذا يكون والتاريخ شاهد صادق وحاكم عادل ولكن الأمم في طور الجهالة لا تعتبر بالحوادث ولا تتأدب بالكوارث

خير الإصلاح اصلاح التعليم وخير التعليم ما كان على الطريقة العملية حتى ان الأمم المرتقية لم تعد تعتبر نجاح التعليم براءة التلامذة في الامتحان